

سورة المناافقون



النَّزْوُلُ: مدنية.

المقصاد:

- ١ - التحذير من المنافقين ومكايدهم .
- ٢ - بيان طرق الوقاية من آفة النفاق وكيد المنافقين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشَهِدُ إِنَّا لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّا لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِيبُونَ ﴾١﴾ أَنَّهُمْ جُنَاحٌ فَصَدُّوْعَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ فُلُوْجِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتُمُهُمْ تُعِجِّبُكُمْ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَاهِمٌ حُشْبٌ مُسَنَّدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْأَعْدُوْفُ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتِلُهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُوقَنُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْفًا رُؤُسَهُمْ وَرَأْيَتُمُهُمْ يَصْدُونَ وَهُمْ مُسْتَكْدِرُونَ ﴿٥﴾

١ - سبب النزول:

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي صلوات الله عليه وسلم في سفرٍ أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تُنفقوا على مَنْ عند رسول الله حتى ينفضُوا مِنْ حوله. وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَرَ مِنْهَا الْأَذْلَّ. فأتيت النبي صلوات الله عليه وسلم فأخبرته، فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسألَه، فاجتهد يمينه ما فعل. قالوا: كَذَبَ زَيْدُ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم. فوقع في نفسي مما قالوا سِدَّةً، حتى أَنْزَلَ اللَّهُ عز وجله تصديقي في: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ﴾، فدعاهم النبي صلوات الله عليه وسلم ليستغفرَ لهم، فلَوْوَا رؤوسهم. وقوله: ﴿خُبْثٌ مُسَنَّدٌ﴾ قال: كانوا رجالاً أجمل شيءٍ». (صحيح البخاري ٨/٥١٥ - كتاب التفسير - سورة المنافقون، باب قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتُمُهُمْ تُعِجِّبُكُمْ أَجْسَامُهُمْ﴾ برقم ٤٩٠٣، صحيح مسلم ٤/٢١٤٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، برقم ٢٧٧٢).

التفسير:

يُحَذِّرُ الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين من دجل المنافقين ومكرهم : إذا جاءك - أيها الرسول - المنافقون وقالوا بألستهم رباءً: نشهد بأنك يا محمد رسول الله حقاً، والله تعالى يعلم أنك رسوله حقاً، والله يشهد بكذب المنافقين قطعاً.

٢ - ٣ - اتَّخِذُو أَيْمَانَهُمُ الْفَاجِرَةَ وَقَاءِيَّةَ لَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، فَمَنْعَوْا أَنفُسَهُمْ وَالنَّاسَ عَنِ الدِّينِ. بئس ما كانوا يقترفون من الجرائم، ذلك الإفساد بسبب أنَّهم أعلناوا الإيمان بألستهم فقط، ثمَّ كفروا بقلوبهم، فاختتم الله على قلوبهم؛ بسبب كفرهم، فهم لا يفهمون اتّباع الحقّ.

٤ - وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ - أيها الرسول - تُعْجِبُكَ هَيَّاتُهُمْ، وَإِنْ يَتَكَلَّمُوا تُضْغِي لِكَلَامَهُمْ؛ لِفَصَاحَةِ حَدِيثِهِمْ، كَأَنَّهُمْ أَخْشَابٌ مُسَنَّدةٌ إِلَى الْحَائِطِ؛ لِفَرَاغِ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، يَحْسِبُونَ كُلَّ صَوْتٍ وَنَدَاءٍ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُمْ مَقْصُودُونَ بِذَلِكَ، فَهُمْ عَلَى خَوْفِ دَائِمٍ. هم الأعداء حقاً، فاخذُهم، أخزاهُم الله ولعنُهم، كيف يعدلون عن الحقّ، ويتمسّكون بالباطل والضلال؟

٥ - وَإِذَا نَصَحَّهُمُ الصَّحَّابَةُ بِأَنَّهُمْ يَأْتُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَائِبِينَ؛ لِيَطْلُبُ لَهُمُ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى حَرَّكُوا رُؤُوسَهُمْ سَخْرِيَّةً وَإِصْرَارًا عَلَى الْكُفْرِ، وَرَأَيْتُهُمْ يُعْرِضُونَ عَنِ الْاسْتَغْفَارِ، وَهُمْ مُتَكَبِّرُونَ عَنِ التَّوْبَةِ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - وجوب الحذر من المنافقين؛ لما يتصرفون به من الخداع والكذب، والتلبيس على الناس والخلف الكاذب.

٢ - من صفات المنافقين صددهم عن سبيل الله بما يفعلونه في السر من محاربة المؤمنين.

٣ - التحذير من الاستمرار على المعصية، فإنه يوجب الطبع على القلب، ويحرم صاحبه الهدایة.

٤ - تقرير أنَّ مظهر الإنسان لا يُنْبئ عن حقيقته.

٥ - الكشف عن نفسيه الخائن والظالم والمجرم ، وهو الخوف والتخوف من كل سوء ؛ خشية أن يكون ذلك بياناً لحالهم ، وكشفاً لجرائمهم .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلَلَّهُ خَرَابٌ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَا أَعْزَزُ مِنْهَا أَذَلَّ وَلَلَّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُنْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴿٤﴾ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَجْنِي إِلَى أَجَلِ قَرِيبٍ فَاصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥﴾ وَلَنْ يُؤْخَرَ اللَّهُ أَعْلَمُ إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾

التفسير:

٦ - سواء على هؤلاء المنافقين استغفارك لهم - يا محمد - أو عدم استغفارك. لن يصفح الله تعالى عنهم؛ لإصرارهم على النفاق. إنَّ الله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته إلى طريق الحق .

٧ - يفضح الله تعالى قبائح المنافقين، بأنَّهم هم الذين يقولون لأهل المدينة: لا تُنفقوا على المهاجرين من أصحاب محمد حتى يتركوه. ومن القائلين بذلك عبد الله بن أبي رأس النفاق. والله وحده ملك خزائن السموات السبع والأرضين السبع، يرزق جميع المخلوقات، ولكنَّ المنافقين لا يفهمون تدبير الله لمحلوقاته .

٨ - ومن فضائحهم قول رأس المنافقين عبد الله بن أبي بغرور: والله إن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ فريقنا الأقوى فريق المؤمنين الأذلَّ. والله تعالى العزة ولرسوله ﷺ وللمؤمنين الصادقين، ولكنَّ المنافقين لا يعلمون تلك الحقيقة .

١٠ - يا أيها المؤمنون، لا تشغلكم أموالكم وأولادكم عن عبادة الله ، ومنْ تشغله الدنيا عن الآخرة وعبادة الله تعالى فأولئك البُعداء عن الحقّ، هم الخاسرون في الدنيا والآخرة. وأنفقوا من أموالكم التي رزقناكم في وجوه البرّ من قبل مجيء علامات الموت، فيقول أحدكم: يا ربّ هلا أمهلتني، وأخرّت موتي إلى زمن قليل، فأنفق من مالي، وأصبح من الصالحين العاملين بأحكامك.

١١ - ولن يؤخّر الله تعالى نفساً عن الموت إذا حضر أجلها المكتوب. والله خبير بكلّ ما تملون من خيرٍ أو شرّ وسيجازيكم عليها.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ -** تقرير مخاطر المنافقين على الأمة، وتفريقهم لها، وتأمرهم عليها.
- ٢ -** لا يجوز الاستغفار للمنافقين ولا محبتهم، ولا الاجتماع بهم، ولا الصلاة عليهم في حال موتهم.
- ٣ -** في الآيات (٩ - ١١) إخبار مستقبليٌّ بأنَّ مَنْ تشغله أمواله وأولاده عن عبادة الله وطاعته، فهو مغبونٌ حَظَه من كرامة الله ورحمته. وفيها إخبار مستقبليٌ آخر بأنَّ مَنْ لم يبادر إلى الإنفاق ببعض ما أعطاه الله في طرق الخير، وجاءه الموت وبدأ يرى دلائله وعلاماته فإنَّه سيقول نادماً: ربّ هلا أمهلتني، وأجلّت موتي إلى وقت قصير.
- ٤ -** الرزق كله من عند الله يرزق البرّ والفاجر، ولا يقدر أحد على منْعه؛ لأنَّه سبحانه المعطي المانع.
- ٥ -** النصر والغلبة تكون دائمًا للمؤمنين في كل زمان ومكان.
- ٦ -** النفاق يطبع على قلوب أصحابه فلا يقدرون على تمييز الحق من الباطل.
- ٧ -** وجوب ذِكر الله، وتحريم الاشغال بالمال والولد عن دين الله، وأنَّ مَنْ يفعل ذلك من الخاسرين.
- ٨ -** العزة الحُقُّ لله ولرسوله وللمؤمنين، فلذا يجب على المؤمن ألا يذلّ ولا يهون لكافر.

- ٩ - حرمة تأخير الحج مع القدرة على أدائه تسوييفاً، مع الإيمان بفرضيته.
- ١٠ - عظمة الصدقة، و فعل الأعمال الصالحة من البر والإحسان.
- ١١ - الإنفاق في سبيل الله من أخلاق المؤمنين، والإمساك من أخلاق المنافقين.
- ١٢ - إنَّ اللَّهَ لَا يُؤْخِرُ أَجْلَ نَفْسٍ إِذَا اسْتَوْفَتْهُ.